

فلسفة التربية والنظام التربوي أية علاقة؟ دراسة تحليلية في أوجه الاتفاق والافتراق

Philosophy of Education and the Educational System: What is the Relationship? An Analytical Study of the Points of Agreement and Disagreement

تاريخ النشر: 2025/04/25

تاريخ القبول: 2025/04/15

تاريخ الإرسال: 2025/02/13

محمد زيان¹، منال كشرود²

¹ جامعة بسكرة ، الجزائر ، EMAIL : mohamed.ziane@univ-biskra.dz

² مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة ، جامعة بسكرة ، الجزائر ،

EMAIL : manel.kechroud@univ-biskra.dz

الملخص

تهدف هذه الورقة البحثية للتقصي عن مبادئ رئيسية يشتمل عليها الطابع الاشكالي لفلسفة التربية والمدارس التربوية الحديثة والمعاصرة وعلاقة هذه المجالات بالنظام التربوي المقرر في مجتمع من المجتمعات الذي يبقى في آخر المطاف نتيجة لفلسفة سياسية نابذة من أدولوجية محددة يخطها النظام السياسي أو السلطة السياسية، فهل فلسفة التربية تتفق في الأهداف والغايات مع النظام التربوي أم تتباين؟

خلصت الدراسة أن العلاقة بين المتغيرين يمكن فهمها من خلال متغير ثالث وهو عنصر فاعل في توجيه طبيعة هاته العلاقة وهو الجسم السياسي " الدولة "، ذلك أنه يستحيل فهم المنظومة التربوية من دون الوقوف على الهدف السياسي الذي يسعى لإنتاج مواطن صالح يعترف ويفتخر بولاءه للأمة من خلال الإستعانة بالنظم التربوية.

كلمات مفتاحية: فلسفة التربية، التربية، الفلسفة، النظام التربوي، العمل

المؤلف المرسل: محمد زيان ، الإيميل: mohamed.ziane@univ-biskra.dz

Abstract

This research paper aims to investigate the main principles included in the problematic nature of the philosophy of education and modern and contemporary educational schools and the relationship of these fields to the educational system established in a society that ultimately remains the result of a political philosophy stemming from a specific ideology outlined by the political system or political authority. Does the philosophy of education agree in goals and objectives with the educational system or do they differ?

The study concluded that the relationship between the two variables can be understood through a third variable, which is an active element in directing the nature of this relationship, which is the political body "the state". This is because it is impossible to understand the educational system without standing on the political goal that seeks to produce a good citizen who is proud of his loyalty to the nation through the use of educational systems.

Keywords: Philosophy of education, education, philosophy, educational system, educational work.

1. مقدمة:

إن من أبرز المشاكل الخطيرة التي قد تعترض أي مجتمع أو دولة ما هو فقدانها لفلسفة تربوية واضحة المعالم والأهداف، وقد ينطبق هذا الوضع على الأمة العربية بوجه خاص، حيث لم تتمكن النخبة لدينا ومن ورائها السلط الحاكمة من التوفيق في تحديد تربية تنسجم مع خصوصيتنا وهويتنا، خاصة بعد ميلاد ما يعرف بالدولة الحديثة أو القطرية عندنا على اعتبار قبل سنوات الخمسينات من القرن الماضي كانت أغلب دولنا رازحة تحت الإستعمار الغربي الاستيطاني مما حال دون تبلور رؤية تربوية منظمة لواقعنا ومستقبلنا.



إنَّ التحكم في واقع التربية في مجتمعاتنا أضحى أمراً حتمياً وضرورياً تفرضه المستجدات السياسية والاقتصادية العالمية، التي تتقيد بمنظومة عولمية تصهر الجميع وتحتوي المختلف والمتناقض وتجعله يتماهى معها ويتنازل عن أي خصيصة أو هوية متفردة به، لذا العمل على فلسفة شاملة تؤطر العمل التربوي مهم وكذا التأسيس لقيم مجتمعية حضارية تراعى من خلالها الهوية التاريخية واللغوية والدينية متطلعة للقيم العالمية الانسانية ومندمجة فيها بفاعلية وإيجابية. لأن حال أمتنا وبموضوعية أخفق في احداث هذا التوازن بين قيم غربية مادية ومبادئ اسلامية روحية، وتغدو التربية بصفة عامة والنظام التربوي الذي تنتجه الدولة الضامن الرئيسي لتحقيق هذا الهدف، لكن مع ذلك لا تعتبر الغاية بسيطة بهذا التصور، وهنا يتطلب الأمر تدخل السؤال الفلسفي الذي من المؤكد سيكون له أهمية بالغة في انتاج المعرفة العلمية الموضوعية التي تعالج كل القضايا المجتمعية والأخلاقية والسياسية والقانونية وكل ما من شأنه المساهمة في تقدم المجتمع وأفراده، لأن ماهية الفلسفة الحقيقية وخصيبتها الفريدة هي طابعها الكلي الكوني الذي ينسحب على الكل من دون خلفية موجهة ويسعى وراء ذلك للتعميم والشمولية، فالفلسفة طابعها إنساني كذلك فكل القضايا إلا و وراءها اشكال فلسفي، فالحياة فلسفة والوجود فلسفة، والعلم فلسفة ... ونحن هنا نسأل عن معنى السعادة والفضيلة والعدالة وغيرها من المواضيع التي نختلف في طرحها عن العامة من الناس و السؤال الفلسفي تميز وعمق في الطرح وجوهر في اثبات المعنى والدلالة عليه، (أي عمق في طرح القضايا والتوكيد على معانيها من خلال الحجج والبراهين)، وعليه فكل مجال من مجالات الحياة هو بمثابة فلسفة (فلسفة الوجود، فلسفة العلم، فلسفة الجمال ... فلسفة الحق) ولعل موضوع التربية يعد أساسا من أبرز القضايا التي ينتهي لها - الفلسفة - وتنضوي بصفة خاصة من مهامها، ومن هنا يمكننا الاعتراف بوجود فلسفة تربوية هاته الأخيرة التي تعتبر فرع من فروع الفلسفة وجملة من تخصصاتها.

لأنه لا يمكن لأي مجتمع كان أن يغفل أهمية التربية ودورها الحيوي في بناء المجتمع الذي يعد الصورة الكاملة للفرد من خلال النمط التربوي الذي وضعه النظام السياسي الخاص، فهذا الأخير "النظام العالمي أو الدولي" من خلال مؤسساته العالمية يفرض تصورات

عديدة ومتباينة مع الواقع المحلي للمجتمعات وقد يتناقض معه أحيانا في خصوصياته ومرجعياته، ثم التحديات القطرية للدول التي قد لا تنسجم مع رهانات الأمم وإن كنا في عالم يؤمن بالأحادية والتنميط الموحد للأشياء والثقافات حتى في اطار ما يسمى بالعولمة. فالفلسفة عالمية وأفكارها هي الأخرى تسعى لذلك، أما عن النظام التربوي بصفة خاصة فهو عبارة عن جملة من القواعد والعلاقات المنبثقة من النظم السياسية التي تجسد سياسة ما وفق برنامج سياسي يدافع عليه هذا الكيان بغية تحقيق طموحاته و تجسيد أهدافه و برامج، و لعل الفهم العادي للسياسة وأحوالها يبدو المتغير فيها أكثر من الثابت، والبرامج السياسية هي كذلك تتعدد وتتنوع أهدافها وإستشرافاتها للحال و للمآل لذا نجد أنفسنا أمام متغير في حركة وصيرورة دائمة يبحث عن الكمال عبر وسائل مختلفة من أبرزها " النظام التربوي ". في حين أنّ التربية بشكل عام ومن ثمّ فلسفة التربية التي تختلف من حيث الشكل والجوهر الذي تستقر عليه وهو الثبات والمطلقية التي تندسج على الإنسان المطلق ككل لا الإنسان الجزئي البرغماتي، النفعي الوجودي، وإتّما الإنسان العالمي الخاضع لمبدأ التربية العامة المؤمنة بالقيم الإنسانية " الحرية، الحق، العدالة"، ومنه يمكننا طرح الإشكالية التالية: التالية: هل هناك إمكانية في احداث الوفاق بين فلسفة التربية والنظام التربوي وتحقيق الإنسجام في الأهداف والغايات؟ ثم كيف يؤثر الجسم السياسي (الدولة) على هذه الثنائية؟

أما عن الهدف من دراستنا هاته فيمكن في توضيح أهمية التربية و دورها الحيوي في بناء المجتمع الذي يعد الصورة الكاملة للفرد من خلال النمط التربوي الذي تضعه الدولة وأنّ فلسفة التربية يستحيل الإستغناء عنها في الحياة الاجتماعية وكذا السياسية ويستحيل فصلها من جهة أخرى عن النظام التربوي ذلك أنّ الهدف لهما واحد "تشكيل الفرد المواطن الصالح المرغوب فيه .

إعتمدنا في دراستنا هاته على المنهج التاريخي بغية توضيح أهم المحطات التاريخية التي شكلت فلسفة التربية " بداية من التربية اليونانية إلى التربية المعاصرة " فلكل محطة كان لفلسفة التربية مبادئها وأهدافها بحسب ما يتوافق و يتلاءم و ظروف العصر وإحتياجات الدولة. وكذا على المنهج الوصفي التحليلي لنقدم وصفا وتحليلا للعلاقة التي التي تجمع

بين فلسفة التربية و النظام التربوي الذي ساعدنا على إستنتاج أنّ أنّ العلاقة التي تجمع بينهما تكاملية وظيفية يستحيل الفصل فيها فالأولى "الفلسفة " تهتم بالقضايا التربوية و نظمها في حين الثانية " التربية " في الغالب هي الأخرى ما تكون قضايا فلسفية و بالتالي بالضرورة كلّ منهم في حاجة للآخر ذلك أنّ الهدف واحد لكلّهما "بناء الإنسان، التعرف على طبيعته، إنتاج فرد مواطن صالح".

2. فلسفة التربية: مفهومها، تاريخها، مبادئها

1.2. مفهوم فلسفة التربية :

تعتبر حقل معرفي أساسي يضيف على علوم التربية دلالتها الحقيقية . وإذا كانت العلوم الإنسانية تدرس موضوع التربية التي تهتم بمواضيع الطفل نموه مثلا أو علاقته بالوسط الأسري و الاجتماعي ، و البيداغوجيا مثلا تبحث في وسائل إنجاز الفعل التربوي، فإنّ هذه الأخيرة " فلسفة التربية " تبحث في غايات التربية و الإنسان وإهتماماته وأهدافه التي يرنو الوصول إليها. (د. هنية حسني، 2022، صفحة 162)، فهي ذلك الميدان الذي يبحث في المشكلات الفلسفية و الاجتماعية و حتى السياسية أحيانا من زاوية تربوية و لهذا يشترط على فيلسوف التربية أن يكون ملّما بمفاهيم العلوم الأخرى حتى يستفيد منها في ميدان التربية (ميمونة منصارية، 2018، صفحة 33).

2.2. تاريخ فلسفة التربية:

شهدت فلسفة التربية عبر تاريخها العديد من النظريات الفلسفية المختلفة التي كل منها يتوافق و يتناسب حسب العصر الذي وردت فيه، أهمها :

1.2.2. التربية عند اليونان " الفلسفة اليونانية:

إرتبط مفهوم التربية في الفلسفة اليونانية بالتطور الذي شهده العصر اليوناني آنذاك، أو بالأحرى بعد الإنقلاب الفكري الذي لامس الحياة العقلية اليونانية بفضل فلاسفتها آنذاك خاصة منهم " أفلاطون و أرسطو " اللذان تعاملوا بالنقد اللاذع المحايد لنظمهم آنذاك و بصفة خاصة نظمهم الدينية التي كانت تنشر العديد من الأفكار التي في حقيقتها ليست إلا مجموعة من الأساطير الخرافية ليس لها أيّ أساس من الصحة ، كما أنّها كانت تفتقر للقيم التربوية ، وإن إتصفت بذلك فتجد معظم قيمها لا تنطبق لا مع الواقع ولا



العقل. ليس هذا فحسب وإنما كذلك رفضوا كل العادات و التقاليد الخارجة عن نطاق السلوك الأخلاقي و نطاق العقل ، وهو بالضبط ما ركزوا عليه بصفة خاصة في المجال السياسي الذي تمّ رفضه آنذاك تماما و أحلوا محله نظما لا تسير إلاّ وفق دواعي المنطق والعقل وعلى أسس تتماشى وتتوافق والأخلاق. (علي أبو ريان ، 1969 ، صفحة 12).

فاليونانيون تميزوا عن غيرهم من الأمم وخاصة منها الشرقية بإحترامهم للعقل وإحترامهم للنظم السياسية والاجتماعية والتربوية بصفة خاصة، فهذه الأخيرة كانت تتميز لديهم بروح التجديد و روح الحرية الفردية ، وهذا ما ساعد بدرجة كبيرة في نمو شخصية الفرد اليوناني في كافة جوانبها و تربيتها على أسس تتوافق والأخلاق.

أما عن هدف التربية عند الفلاسفة اليونانيين فكان الوصول بالإنسان إلى أعلى درجات السعادة و ضرورة تحقيق الإنسجام سواء الإنسجام الروحي أو الإنسجام الجسدي، ولهذا كانت التربية اليونانية تنقسم إلى قسمين " التربية الإسرطية " التي كانت تهتم بالجسد وتربية كانت شبيهة جدا بالتربية العسكرية كما تمّ وصفها . و القسم الثاني " التربية الأثينية " وهذا النوع من التربية كان يهتم بالإنسان بصفة خاصة وكيف يمكن له أن يحقق النمو الكامل في جميع النواحي العقلية والنفسية، الجسمية، الروحية. (إبتسام غانم، 2019 ، صفحة 239).

لهذا التاريخ يشهد بأنّ للفلسفة اليونانية فضل كبير في تطور التربية و كذا أول من بادر بدمجها في مجال السياسة، فحسب إعتقادهم أنه فقط بالتربية يمكن تحقيق الفضيلة و السعادة و العدالة في المجتمع . ولهذا كان تحقيق و تجسيد تربية صائبة هدف الدولة حسب الإعتقاد الأفلاطوني و الأرسطي.

للتوضيح أكثر المقصود بالتربية في الفلسفة اليونانية وبالضبط " أرسطو وأفلاطون " هو تعليم التربية الخلقية للصغار وكذا تعليم الفضيلة ونشر العلم وقواعده المثلى وتوفير حياة هنية و كريمة للمواطن من خلال تحقيق العدل الذي لن يتحقق إلاّ من خلال الإعتماد على أسس التربية الصحيحة السليمة التي من شأنها أن تبعد الإنسان عن كل مظاهر العنف و العدوان و الظلم والعصبية والجهل والأمية طبعاً ما سيساهم في تقدم

وتطور " دولة المدينة " بالمفهوم اليوناني أي المجتمع. (ماهر عباس مهدي ، 2024 ، صفحة 16).

من خلال ما سبق نستنتج أنّ التربية كانت محظوظة لما لاقت من إهتمام من قبل الفلاسفة اليونانيين بل أخذت نصيبها وأكثر في ساحة الفكر الفلسفي اليوناني لما لها خاصية إيجابية وصالح يعود على الفرد بالدرجة الأولى و المجال السياسي بالدرجة الثانية من ثمّ المجتمع بصفة عامة .

2.2.2. التربية عند المسلمين :

قبل الحديث عن التربية عند المسلمين سنحاول أولاً تعريف ما معنى فكر تربوي إسلامي، يعرفه دكتور الفلسفة المصري " علي سعيد إسماعيل " في كتابه " الفكر التربوي"... بأنه مجموعة من الآراء والأفكار والنظريات التي إحتوتها دراسات الفقهاء والفلاسفة والعلماء والمسلمين، وتتصل إتصالاً مباشراً بالقضايا والمفاهيم والمشكلات التربوية". (علي سعيد إسماعيل، 2006 ، صفحة 37).

المقصود هنا من خلال تعريف الدكتور للفكر التربوي الإسلامي هو نظرة الفلاسفة المسلمين إلى المسائل التربوية يكون دائماً بنظرة إسلامية ، يعني حسب إعتقادهم أنه يجب دائماً تدخل الدين في المسائل التي تخص التربية سواء المسائل النظرية "النظريات التربوية" أو تلك التي يجب أن تطبق على أرض الواقع " القواعد التربوية .

إذا عدنا إلى تأسيس الفلسفة التربوية الإسلامية بالضبط في إنطلاقتها الأولى سنجد أنها كانت مع سيد الخلق وأفضلهم سيدنا وحبينا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام الذي راح واضعاً جملة من الأسس والقواعد التي تحث كلّها على العلم وذلك إنطلاقاً من الوحي الإلهي المبين (د. عبد القادر الشايط، 2020 ، صفحة 61).

التربية بصفة خاصّة عند المسلمين بدأت مع سيد الخلق الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام الذي كان له منهجية خاصة في التعليم وتوجيه المجتمع المكي إلى طريق الهدى و الصلاح حتى يعلمه الفضائل والحق و يخرجهم من الضلال الذي كان يعيشه الإنسان المسلم آنذاك و الجاهلية التي يعاني منها المجتمع المسلم ، ولهذا عمل عليه أفضل الصلاة و السلام على تأسيس قاعدة تربوية تتضمن الأخلاق الفاضلة وقيم سامية تتمثل

في "التعاون، التضامن، العفو، التسامح، المحبة" وغيرها من القيم الأخلاقية التي من شأنها أن تربي الفرد المسلم تربية سليمة وكذا على محاسن العبادات حتى ينتج بالنهاية عبدا مسلما صالحا .

لبناء فلسفة تربوية إسلامية تقوم على أسس إسلامية حاول شيخ الإسلام بن تيمية بعد الغزالي أن يضع جملة من القوانين و المبادئ التي تمثل أسس التربية الحقة في المجتمع المسلم و فلسفتها وحاول حصرها في ثلاث دعائم أساسية كانت على النحو التالي :

- التربية عند المسلمين يجب أن تقوم على عقيدة التوحيد و أن تعمل على تطهير الأمة الإسلامية من كل الخرافات حتى تستطيع أن تبلغ رسالة الإسلام و قيمه .
- التربية الصحيحة التي يجب أن يتلقاها الفرد المسلم هي فقط تلك التي تستمد أسسها و قواعدها من القرآن الكريم و السنة النبوية و من ثم من الإلزامي تطبيقها على أرض الواقع .

- التربية عند المسلمين لا يمكن أبدا فصلها عن المجتمع بل يجب أن تبقى دائما على صلة بعباداته و تقاليده و قيمه و ممارساته بأنواعها" الدينية و السياسية و الاجتماعية ... إلخ " . (د. عبد القادر الشايط، 2020، صفحة 65)

3.2.2 التربية في العصر الحديث :

تميزت التربية هذا القرن بجملة من الملامح عبرت عن نفسها أهمها مبدأ الحرية الذي شهد إنتشارا مفاجئا بين الشعوب و خاصة منها الأوروبية آنذاك في وقت قياسي، كما ظهرت مبادئ الديمقراطية كما إنتشرت قيم المواطنة التي كان يسعى العالم لتحقيقها كالعدل و المساواة بين المواطنين ، ظهور الثورة العلمية التكنولوجية التي كان لها الفضل في تطبيق العلوم على المعارف الإنسانية ، ما ساهم و ساعد في ظهور العديد من مفاهيم جديدة من بينها المفاهيم التربوية شهدها ميدان التربية الحديثة لأول مرة .

كانت تدعو التربية الحديثة إلى ضرورة تغيير أسس المدرسة الكلاسيكية " التربية التقليدية " و تغيير إطار المعلم و المتعلم و الصف التربوي بوسائل تكنولوجية تعليمية حديثة " العقول الإلكترونية ، الراديو ، التعليم الذاتي " و تربية الفرد تربية تتلاءم مع المجتمع وثقافته ، إهتماماته وكذا إحتياجاته . (التربية في المجتمعات المعاصرة، صفحة

(63) فالتربية في هذه الفترة كانت بمثابة إستراتيجية جديدة هدفها تنمية الفرد الناشئ بشكل كامل و على جميع المستويات سواء العقلية أو النفسية أو الاجتماعية أو الصحية. التربية الحديثة في هاته الفترة كانت تؤكد على فكرة يجب أن يكون التعليم مستوحى من البيئة المحيطة بالمتعلم و كذا إنعكاس لعالمه المحيط به ، كما ركزت كذلك على ضرورة مواكبة التطور التكنولوجي (البشير تامجرت، 2018، صفحة 117). و من أبرز الفلاسفة الذّين ساهموا في تطوير التربية في العصر الحديث كان الفيلسوف الفرنسي " روني ديكارت " الذّي دعا إلى ضرورة إعادة بناء نظام تعليمي جديد يقوم على النظام المعرفي للإنسان نفسه. كما ركز على ضرورة أن تكون التربية الحديثة تتميز بالأساليب الرياضية في كل مجالات المعرفة الّتي إعتبر أنّ مصادرها ثلاث هي الإستنتاج العقلي و الخبرة و التجربة ومن ثمّ لا دمجها بالتطور التكنولوجي الذّي أولى له أهمية بالغة . و ركز على ضرورة تطبيق هذه الآلية في المنهاج التعليمي بصفة خاصّة و في مجال التربية بصفة و ذلك لتحقيق غاية واحدة هي تنمية عقل الإنسان و صقله عن طريق تربية حديثة متطورة . (البشير تامجرت، 2018، صفحة 118).

4.2.2 التربية في المجتمعات المعاصرة :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عرف العالم عدة تغيرات من بينها و أهمها تراكم المعرفة، تنوع العلوم، النهضة الصناعية النقد العلمي، إنتشار الوعي الشعبي، تطبيق قانون الديمقراطية و غيرها من التغيرات الإيجابية . و لهذا كان إلزامي على التربية المدرسية في هذه الفترة " المعاصرة " مواكبة هاته المستجدات. وهنا إتجه كل المهتمون بمجال التربية و أولهم المربّون و فلاسفة التربية إلى إعادة دراسة والنظر إلى محتوى التعليم السابق وكذلك طريقة التدريس بغية إصلاحها وجعلها تتماشى مع التغيرات العلمية والتكنولوجية حتى تساهم هي الأخرى من خلال مناهجها وطرائقها الجديدة في إصلاح المجتمع و جعل الناشئ يتلاءم و يتوافق مع طبيعته وطبيعة الثقافة التي يتبناها. ولهذا تميزت التربية في المجتمعات المعاصرة بعد مواكبتها للتقدم التكنولوجي الذّي شهدته بالتكامل و الشمول و التفاعل الوظيفي و الإتساق و منه أصبحت مفهوما شاملا كاملا . (التربية في المجتمعات المعاصرة، صفحة 58)



كانت التربية في هاته الفترة تلقب "بالتربية التقدمية" هذه الأخيرة التي حمل لوائها الفيلسوف والمربي الأمريكي "جون ديوي"، الذي راح رافضا بصورة كلية التربية الكلاسيكية السابقة من منطلق أنها تربية تفتقر إلى الخبرة وتقوم على جملة من الأفكار المجردة التي لا يمكن تطبيقها على أرض الواقع، ومنه راح رابطا التربية بالخبرة و اعتبرها أساسا للتربية الصحيحة. والمقصود بالخبرة حسب المفهوم الديوي هي تلك الخبرة النافعة التي بفضلها يتحقق تفاعلا بين الفرد وبيئته، كما أشار إلى كل الخبرات التي يجب أن تستثنى من منطلق أنها لا تحدث تغييرا أو تفاعلا مرغوب فيه و منتظر في سلوك الطفل أو الفرد المتعلم. (مختار ديدوش محمد، سبتمبر 2019، صفحة 203)

أما عن مبادئها " التربية المعاصرة ":

- التربية المعاصرة طبقت المبادئ الروسية في أصول التدريس التي كانت تعتمد على تنمية القوى و القدرات و الطاقات التي يتميز بها الإنسان أي أنها تخلت عن حشو المعلومات في عقول الأطفال و مالت إلى الاهتمام بميول و قدرات الفرد المتعلم.
- إهتمت التربية المعاصرة بالتربية الإبتدائية إهتماما مبالغا فيه كونها القاعدة الأساسية في التربية و التعليم و حق طبيعي يجب كل فرد أن يتمتع به.
- ركزت التربية الحديثة على القدرات و الطاقات التي يتميز بها المتعلم حتى تطورها
- إهتمت التربية المعاصرة بدراسة العقل البشري و طرق التفكير الإنساني و تنميتها على أسس علمية تكنولوجية متطورة (التربية في المجتمعات المعاصرة، الصفحات 58-59).

نستنتج من خلال المحطات التاريخية التي مرت بها التربية أنها إستراتيجية تساعد على نمو الفرد بشكل متكامل من الناحية العقلية و النفسية و الروحية و الاجتماعية والصحية و كذا بمثابة عملية تساعد على تهيئته و اندماجه في المجتمع و مساعدته على إكتساب مهارات و عادات و قواعد أخلاقية تتماشى مع فلسفة المجتمع و قيمه و عاداته والرقى بالفرد المتعلم ليبلغ مرحلة الكمال حتى يصبح فردا نافعا في مجتمعه.

3. النظام التربوي ودوره الأيدولوجي في بناء الدولة:

يعتبر النظام التربوي من أهم المقومات التي تدفع بعجلة التنمية الاجتماعية بجميع أبعادها ، كما يعتبر من بين أهم أدوات التنمية ، و ذلك من خلال وظائفه المتعددة وأهدافه الخاصة المتعلقة بشكل أساسي بإعداد الأفراد للحياة الاجتماعية و المهنية ومنه يمكننا طرح التساؤل التالي :

ما المقصود بالنظام التربوي ؟ و ماهي أهم العوامل المشكلة له ؟؟ و فيما يتمثل دوره الأيدولوجي في بناء الدولة وإنتاج مواطن صالح ؟

1.3. مفهوم النظام التربوي:

يعرف بأنه: "... الآلة التي يتم من خلالها إدارة العمليات التربوية في مؤسسات المجتمع المختلفة، وفقا لرؤية فلسفية سياسية إجتماعية عقائدية معينة، يؤمن بها المجتمع ويتبنائها في حياته العامة ". (المجلس الأعلى للتربية، مارس، 1998).

كما يعرف بأنه تلك الأداة التي يستخدمها المجتمع حتى يحافظ على هوية نظامه الثقافي و أسسه المسؤولة عن نقل هذه الهوية الثقافية إلى كيان المجتمع المتجدد باستمرار . ذلك أن كيان المجتمع لا يستمر في أصالته إلا إذا إمتد حاضره إلى مستقبله دون أن ينقطع عن جذوره الثقافية الماضية مع حرصه على إضافة سمة التجديد و الإبداع . وإنّ الشرط الذي يقوم عليه هذا النظام هو ضرورة تبني رسالة المجتمع المنبثق منه. (صليحة بن سباع، 2012، صفحة 307)، فهو بمثابة الوسيلة التي يعتمد عليها المجتمع في الحفاظ على هويته و ثقافته ، بل هو الأداة المساعدة لتكوين مستقبل متحضر ، في نفس الوقت محافظ على كل ما يمثل وطنه ، و هذا طبعا راجع إلى نوعية النظام التعليمي الذي يتبناه فهو أحيانا يكون سلاح ذو حدين " إيجابي و سلبي ". (Renald Legendre, 1993)

كما يعتبر النظام التربوي بمثابة أداة مساعدة على التسيير و التخطيط ، و بمثابة إجراء لتبرير إختيار الطرق التنظيمية الأساسية لتطوير أنظمة التكوين وبالخصوص الأنظمة العمومية فأحيانا تكون الأسئلة المطروحة فيه تتعدى إطار القسم والمدرسة ". (jarousse, J, 1999, p. 161) و في معظم الأحيان يحتاج هذا النظام إلى تقييم بين الفترة و الأخرى ، و هذا الأخير " التقييم " هو بمثابة عملية منهجية تقوم على أسس علمية يكون الهدف أو الغاية منها النظر في النظام التربوي و من ثمّ تحديد نقاط القوة أو القصور التي

يتميّز بها هذا النظام التربوي لدولة ما ، بعدها مباشرة يتمّ إتخاذ قرار بشأنه إمّا بإصلاحه إذا كان يعاني من قصور أو أخطاء يستلزم تصليحها ، إمّا بتطويره إذا كان لا يتواءم العصر... إلخ ، فهنا حسب ما يحتاجه هذا النظام و بحسب كذلك ما يتوافق ويتناسب و احتياجات الدولة . (David Daniel Royse, Bruce A. Thyer, Deborah Padgett, 2010) يمكن القول أن النّظام التربوي هو مجموعة من القواعد الإجراءات تتبعها أو تتخذها الدولة لتنظيم و تسيير شؤونها التربوية . وفي الغالب ما تكون هذه النظم التربوية إنعكاس للفلسفة الفكرية و الاجتماعية و السياسية السائدة في تلك الدولة .

2.3. عوامل تشكيل النظام التربوي :

هناك مجموعة من العوامل تسهم أو بالأحرى تكون هي المسؤولة على تشكيل النظام التربوي أهمها :

1.2.3. عوامل أيّدولوجية: و تنقسم إلى قسمين :

● نظم نمطية:

هذا النوع من الأنظمة يعمل على تشكيل نظام موحد ، وإلزامي على الأفراد أن يخضعوا لهذا النوع من الأنظمة، ويكون هذا الخضوع عن طريق مؤثرات تربوية واحدة التي هي الأخرى بدورها تنقسم إلى نوعين:

الأول يسمى نظام عقائدي أيّدولوجي ويهدف هذا الأخير إلى تحقيق أغراض أيّدولوجية وتأسيس نظام تعليمي إشتراكي، من منطلق أن أنظمة الفلسفة الإشتراكية لها دور خاص في تأسيس و تشكيل الأنظمة التربوية بإمتياز .

أما النوع الثاني فيتمثل في الأنظمة بالنمطية الحضارية و هذه الأخيرة تجدها تركز على الأسس الثقافية و الحضارية الخاصة بالمجتمع ، بالإعتماد على منطلقات قومية .

● نظم تنوعية :

أساس هذه النظم الإيمان بالتعدد و التنوع كونهما العاملين الأساسيان اللذان يمثلان مبادئ الديمقراطية التي تقوم على حرية الاختيار وإحترام الأفراد "إهتماماتهم، ميولهم ، أهدافهم" دون التفرقة بينهم بغض النظر عن دينهم ، أو جنسهم ، لغتهم ، إلخ .

نستنتج أنّ النظم التربوية هي نظم تربوية مركزية كونها تسير وفق سيطرة الدولة وتحكمها في كل المقومات التربوية بداية من الإدارة إلى الإشراف إلى المنهاج إلى معلم هذا المنهاج، ليس هذا فحسب وإنما هي كذلك أي "الدولة" المسؤولة عن رسم سياسات وأهداف التعليم. ولهذا يمكن القول أن النظم التربوية و بصفة خاصة في الدول العربية هي نظم تربوية مركزية ذلك أنّها لا تستطيع أن تسير خارج أطر أو إستراتيجيات وأهداف الدولة. (المجلس الأعلى للتربية، مارس ، 1998).

3.3. الدور الأيدولوجي للنظام التربوي :

التحدث عن الجانب الأيدولوجي للنظام التربوي في هذه الجزئية نقطة أساسية وضرورية حتى نبين دوره "الأيدولوجي" في إنتاج مواطن صالح تحلم به الدولة. التي تجدها تحاول و تسعى لتحقيق حلمها هذا من خلال الإستعانة بمناهجها التربوية و مققراتها الدراسية .. إلخ، فهذا الأخير " النظام التربوي " دور مهم في جعل التلميذ يتشبع و يعتز بقيم وطنه بإختلافاتها الدينية ، الاجتماعية والسياسية ... إلخ، هاته القيم التي يعتبر حضورها وتطبيقها واجبا عند وجود أي صراع يواجهه الدولة صاحبة الشأن الأول بالنظام التربوي ، أو في حالة محاولتها بسط نفوذها في كل ما يخصها خاصة في المجال السياسي .

كما أنّ التحدث عن الدور الأيدولوجي للنظام التربوي يحتم علينا كذلك التحدث عن التدفق المعرفي أو بصيغة أخرى أصح " التدفق العولمي " الذي إستطاع أن يلغي كل الحدود التي من شأنها أن تمنعه من دخول العقول أو إحتلالها ، والذي في غالب الأحيان ينتج عنه تأثير سلبي على قيم الناشئة " الأفراد " ما ينتج عنه بالضرورة ضرر للدولة يمس تاريخيتها "هوية أجيالها" ، ما يجعلها تحاول الحفاظ على قيمها الأصيلة و قيم هويتها عن طريق نظمها التربوية كرد فعل على سلبيات التدفق العلمي . فهدف أي دولة هو تشكيل وإنتاج مواطن مواطننا صالح يعتز بقيمها و هويتها حتى تضمن بقاءها وإستمراريتها. و هنا يصبح لكل مؤسسة دور في التنشئة الاجتماعية لكن الدور الأكبر يكون على المؤسسات التربوية التي تهدف إلى تعزيز قيم الإنتماء الوطني بكل أبعاده الدينية و التاريخية و كذا الاجتماعية لتحقيق الولاء للوطن، هذا الأخير الذي يعتبر أعمق قيمة من قيم الإنتماء تسعى الدولة لتحقيقه عن طريق نظمها التربوية لتجعل المواطن الناشئ أكثر صلابة في

الحفاظ على قيم وطنه و ثوابته . (فريدة قادري، 2020، صفحة 233). وهنا تكون الدولة قد حققت و أنتجت مواطنا صالحا ، فصالح الدولة مرهون بصالح النظم التربوية و إنتاج مواطن صالح مرهون كذلك بالنظام التربوي الذي تبنته الدولة.

الحفاظ على ثوابت الوطن وغرسها في نفوس الناشئة من مسؤولية النظام التربوي بالدرجة الأولى بداية من غاياته إلى مخرجاته، والمقصود بثوابت الوطن كما سبق ووضحنا هو كل ما يخصه من قيم تمثله ودين، لغة، تاريخ و عادات، تقاليد التي تعطي لكل وطن مميزات يمتاز بها عن غيره ، وتجعل من المواطن يفتخر ويعتز بانتماءه إلى ذلك الوطن، والمقصود بكلمة "الإعتزاز" هنا هو الإعتزاز بالمنظومة القيمية المسؤولة عن تشكيل الهوية الوطنية بصيغة كلية، التي إذا أحسنت المؤسسات التربوية تحقيق هذا فإنها لا محالة ستضمن إستمرار أميتها أيديولوجيا على الأقل .

4. العلاقة بين النظام التربوي وفلسفة التربية:

البحث في العلاقة التي تجمع بين النظام التربوي و فلسفة التربية يعتبر من بين أهم المواضيع ، فمتى تمكّنا من فهم العلاقة التي تجمع بين الطرفين تمكّنا من فهم الحياة وأغلب المسائل الإجتماعية التي تواجه الفرد . ثم إنّ البحث في هاته العلاقة يعتبر من النقاط المهمة التي يجب التطرق لها حتى يتم توضيح أنّ هاته العلاقة هي علاقة مركبة من علمين " التربية و الفلسفة " و كل واحد منهما في خدمة الفرد و الدولة " أي الهدف واحد ". وقبل التطرق إلى طبيعة العلاقة مباشرة لا بدّ من إعطاء مفهومين لفلسفة التربية يساعدان على فهم العلاقة التي تجمع بينها وبين النظام التربوي.

يعرف الفيلسوف المرّبي " فينكس " فلسفة التربية بأنّها " ... البحث في مفاهيم عامة توجد الإتساق بين المظاهر المختلفة للعملية التربوية في خطة متكاملة شاملة تتضمن توضيحا للمعاني التي تقوم عليها التعبيرات التربوية و شرحا للقواعد الأساسية التي تقوم عليها الأفكار أو النظريات التربوية "، أمّا عن الفيلسوف " أوكونور " فيعرفها بأنّها " .. الدراسة التحليلية الناقدة لمجموعة القيم و المثل العليا التي تتضمنها الأهداف التربوية " (الربيع لصقع، 2023، صفحة 456).

كاستنتاج من خلال المفهومين السابقين نستنتج أنّ التفكير الفلسفي أبدا لا يتناقض والتفكير التربوي ، ذلك أنّ الفلسفة هي الأخرى تجدها تعمل على ما يجب أن يكون و أبدا لا يتوقف نشاطها عند ما هو كائن ، فالإهتمام بما يجب أن يكون هو بمثابة حل للمستقبل كالتفكير التربوي. ولهذا يقول الدكتور العربي "بلقاسم فرحاتي " في كتابة.فلسفة التربية"، التفكير في التربية أو التفكير الفلسفي "ليس مجرد تسجيل للوقائع كما يظن البعض لا وإنما هو ترسيم أو تخطيط للنظام التربوي ، كما يسمح لنا و يمكننا من فهم عناصر الفعل التربوي أو أغلب الظواهر التربوية كما لو أنّها مشكل و لكن ليس كمشكل تربوي فحسب لا وإنما كمشكل تربوي فلسفي مشترك بالضرورة . وهو بالضبط ما يستدعي التفكير الفلسفي في مسائل التربية من منطلق أنها العلم الوحيد الذي له القدرة على إدراك مشكل الظواهر التربوية في حقل التعليم وحل مشاكلها، والعلم الوحيد الذي من شأنه أن يدمج كل الإهتمامات الحياتية المتنوعة التي في غالب الأحيان تكون متضاربة . على سبيل المثال كالإهتمامات الدينية وما يقابلها من إهتمام إقتصادي، وكذا الإهتمام العلمي مع الإهتمام الجمالي والأمثلة عديدة فيما يخص الإهتمامات وما يقابلها من تناقضات . كذلك كالإهتمام بالمحافظة على النظام و المقصود هنا هو النظام التربوي الذي تفرضه الدولة وما يناقضه من إهتمامات أخرى كالتنوع، الإبداع .. إلخ ، أو أحيانا تمسك الدولة بنظامها التربوي في حين تجد تناقضات من قبل المواطن التي أحيانا يقابلها هو الآخر بالرفض. (العربي بلقاسم فرحاتي، 2023، صفحة 16).

من جهة أخرى تعتبر التربية ذلك الجانب العملي " التطبيقي " لأبعاد الفلسفة " النظرية "لهذا نجد الفلسفة ترتبط إرتباطا وثيقا بالتربية ، بعبارة صريحة " علاقة وطيدة " فالتربية بلا فلسفة هي بمثابة نشاط فوضوي تنعدم فيه كل الأهداف والفلسفة بلا تربية هي الأخرى بمثابة نشاط فكري ليس له أية فائدة علمية أو عملية إن لم يطبق على أرض الواقع عن طريق التربية التي ستعمل على تطبيق الفكر الفلسفي عن طريق النظام التربوي التي بطبيعة الحال ستتحكم فيه الدولة لإنتاج مواطن صالح ، و هو بالضبط ما تسعى الفلسفة وجل الأنظمة التربوية العالمية إلى تحقيقه. (الربيع لصقع، 2023، صفحة 457).

هنا نستنتج أنّ القضايا المشتركة بين الفلسفة والتربية يعكس العلاقة المتينة بينهما فالقضايا الفلسفية تهتم بالتربية وقضايا التربية غالبا ما تكون قضايا فلسفية. فالتربية والفلسفة كلاهما يسعى لمعرفة طبيعة الإنسان وغاياته.

5. خاتمة:

تبقى العلاقة بين فلسفة التربية والنظام التربوي علاقة عضوية يستدعي وجود الأول تواجد الثاني والعكس، لأنّ الغاية و القصد واحدة هي بناء الإنسان وفق نظرة متكاملة تراعي كل الجوانب النفسية والجسدية والذهنية، وهنا بالطبع التكامل يبقى ضروري على أساس أنّ الهدف سامي، وإنّ هاته العلاقة الثنائية الوطيدة لا يمكن الفصل فيها من دون إدخال متغير ثالث وهو كذلك عنصر فاعل في توجيه طبيعة هاته العلاقة ألا وهو الجسم السياسي "الدولة" كما سبق ووضحنا في مقالنا هذا. ذلك أنه يستحيل فهم المنظومة التربوية من دون الوقوف على الهدف السياسي الذي يسعى لإنتاج مواطن صالح يعترف ويفتخر بولائه للأمة من خلال الإستعانة بالنظم التربوية، التي تساعد في نقل القيم ومعالج الثقافة بكل موانئها (العادات والتقاليد) للأجيال اللاحقة من دون الحاق أي هوة في خصوصية المجتمع وامتداداته التاريخية، كما يمكننا من خلال التربية ونظمها أن تخلق المساواة بين الجميع مما يذيب كل فجوة أو هو بين فئاته.

6. قائمة المراجع:

- البشير تامجرت، النزعة المادية تصدع أعمدة المرسى، دار كتابك (الجزائر: دار كتابك، 2018).
- الربيع لصقع، بين التربية وفلسفة التربية "سؤال المفهوم و طبيعة العلاقة"، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، المجلد8، العدد1، 2023.
- العربي بلقاسم فرحاتي، فلسفة التربية، دار الأصالة للنشر (الجزائر: دار الأصالة للنشر، 2023).
- المجلس الأعلى للتربية. (مارس ، 1998). المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة و إصلاح التعليم الأساسي، ملخص الوثيقة القاعدية.

- اليماني علي سعيد، فلسفة التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004).
- عبد القادر الشايط، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد1، العدد4، 2020.
- هنية حسني، منظومة التربية و التعليم في الجزائر "مسار تاخي و إجتماعي"، دار ومضة (الجزائر: دار ومضة، 2022).
- ربول أوليفيه، فلسفة التربية، منشورات عويدات (لبنان: منشورات عويدات، 1982).
- علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي ، الفلسفة الحديثة، دار الكتب الجامعية (مصر: دار الكتب الجامعية، 1969).
- علي سعيد إسماعيل، الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل، دار السلام (مصر: دار السلام، 2006).
- ماهر عباس مهدي، فلسفة التربية عند كل من أفلاطون وأرسطو وابن رشد "دراسة مقارنة، مجلة الدراسات الأكاديمية، المجلد6، العدد2، 2024.
- محمد أسعد طلس، التربية و التعليم في الإسلام، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة (القاهرة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، 2012).
- ميمونة مناصرية، المنهاج المدرسي، دار علي بن زيد للطباعة والنشر (الجزائر: دار علي بن زيد للطباعة والنشر، 2018).

- David Daniel Royse, Bruce A. Thyer, Deborah, Padgett Program Evaluation: An Introduction. Wadsworth Cengage Learning, . 2010.
- jarousse. J, Evaluer les systemes educatifs de quoi parle t on ? dans paul . j . j . administrer . gerer . evalueur les systemes educatifs, ESF EDITTEUR (paris: ESF EDITTEUR, 1999) .



- Renald Legendre, Dictionnaire actuel de l'éducation, Guérin (PARIS: Guérin, 1993).